

اللغة الرمزية وتجليات المضامين الإنسانية في شعر أمل دنقل

سهير طباعة *

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد العليم بوفاتح

جامعة عمار ثليجي الأغواط ، taaba88@gmail.com

مخبر علوم اللسان

كلية الآداب واللغات.

الإرسال: 2020/12/01

القبول: 2020/12/22

التشر: 2021/06/06

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة إلى موضوع جوهري و أساسي في الادب ألا وهو تقنية توظيف الرمز في الشعر العربي المعاصر و مدى ارتباطها بالأبعاد الانسانية وقد كانت العينة من شعر الشاعر المصري أمل دنقل حيث سعت الدراسة للتطرق إلى المضامين الإنسانية في الرموز المحورية التي شكلت حضورا متميزا في شعره و لقيت أصداء مدوية في الساحة الأدبية و النقدية ، وقسم البحث إلى قسمين أما الجزء الأول فنظري وتطرق الدراسة فيه إلى النزعة الانسانية وعلاقتها بالادب و أهم المبادئ الإنسانية العامة في الأدب كما عرجت سريعا على مراحل التجربة الشعرية في مسيرة أمل دنقل كما خصص الجانب التطبيقي للكشف عن تجليات المضامين الانسانية في النماذج الشعرية المختارة وقد كانت أبرز المضامين أو الأبعاد الإنسانية المتضمنة فيها كالتالي : نبذ الخنوع و الدعوى للحفاظ على كرامة الإنسان ، رفض التعقيم على الحقائق الجوهرية والحث على الانتصار للقضايا العادلة ، مناوأة الحرب والدمار و مخلفاتها ، الدعوى للتمرد على الطغيان و العبودية.

أما المنهج المتبع في الجانب النظري هو المنهج التاريخي وفي الجانب التطبيقي المنهج الوصفي التحليلي التأويلي.

الكلمات المفتاحية: اللغة الرمزية، المضامين الانسانية، شعر أمل دنقل.

* المؤلف المرسل.

The symbolic language and the human content in the poetry of Amal Dunqol

Summary:

This study deals with a fundamental and essential topic in literature, namely the technique of employing the symbol in contemporary Arabic poetry and the extent of its association with the human dimensions, and the sample is from the poetry of the Egyptian poet Amal Donqol, the study seeks to address the human contents in the pivotal symbols that form a distinct presence in his poetry and meet with resounding echoes in literature and criticism. This study is divided in two parts, the first part is theoretical and it touches the humanism and its relation to literature and the most important human principles in literature, as it goes through the stages of the poetic experience in the career of Amal Donqol, whereas the practical aspect is devoted to revealing the manifestations of human contents in the selected poetic samples and the most prominent contents of the human dimensions contained in them as follows: rejecting subservience , the movement to preserve human dignity, rejecting obfuscation of fundamental facts and urging victory for just causes, anti-war and anti-destruction movement, the claim to rebellion against tyranny and slavery .

The followed approach in theoretical part of this study is the historical method, and in the practical part, it is the descriptive interpretive method.

Keywords: symbolic language, Human Contents, Poetry of Amal Donqol.

1- مقدمة : إن الأدب إنساني بذاته، بأصله، والأديب إنساني بوظيفته الأولى وهذه سمة الأدب الأولى وقد يتفاوت حضور القيم الإنسانية في الأدب العربي، إلا أنه لا يكاد يخلو منها، وكلما كان حضورها قويا متداخلا مع القيم الجمالية كان أعمق تأثيرا في النفس وأكثر قدرة على التغيير نحو عالم أفضل وأحسن، وبالعودة الى العالم العربي فقد مرت الثقافة العربية في القرن الأخير من حياة شعوبها وتعرض فيها الإنسان إلى قدر كبير من العنف والإقصاء والظلم، ومن من ملامح هذه الحالة التوتر الشديد بين الإنسان والسلطة عامة وبين السلطة والمثقف خاصة لا سيما لدى الشعراء الذين واكبوا النكسات والانهازات العربية المتلاحقة كالشاعر المصري أمل دنقل ومن عاصره.

وأول ما يتبادر للذهن عند ذكر هذه الشخصية هو التمرد والرفض والتعصب للعروبة القومية وهذه سمات بارزة فعلا في شعره لكننا لا يجب أن غفل عن النزعة الإنسانية في شعره والتي تمجد كرامة النسان وتسعى لتقديم النموذج الأكمل للحفاظ على عنفوان وشموخ الإنسان ووقوفه ضد العبودية والإهانة والخط من قيمته أو محاولة تجريده من حقوقه، والحقيقة أن دنقل للوصول الى هذه الغاية سلك عدة تقنيات فنية لكننا اخترنا منها توظيفه للرموز الشعرية التي تتمحور حول هذه الغايات السامية.

2- النزعة الانسانية والرمز الشعري:

2-1- النزعة الانسانية مفهومها ومبادئها:

2-1-1- مفهومها :

إذا ما عدنا الى المعاجم العربية القديمة فإن الملاحظة الجلية والجديرة بالتأكيد هي أن المعاجم القديمة لم تتحدث عن الإنسانية وإنما انصب حديثها عن الإنسان أو مصطلح الانسي ولا طائل من سرد تلك التعريفات، أما المعاجم الحديثة فنأخذ ما جاء في معجم الرائد مثلا: (الإنساني من كان خيرا بطبعه محبا لإخوانه في الإنسانية وعمل إنساني حميد، مفيد، والإنسانيات دراسات تشمل الأدب واللغات والفنون والفلسفات والديانات والتاريخ ونحوها والإنسانية البشرية وما اختص به الإنسان من المحامد وفي الفلسفة هي الحياة والنطق والموت)¹

أما في اللغات الأجنبية وثقافتها فإنها هي أيضا لم تظهر حسب ما تذكره الموسوعات والقواميس المتخصصة إلا في أوائل القرن التاسع عشر وبالتحديد في 1808 حين استعملها أحد علماء التربية الألمان وهو :

F.j. wiethammer

وكان المقصود بهذا الاستعمال في البداية الدلالة على نظام تعليمي وتربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب الإنسانية القديمة². أما في معجم لالاند نجد عدة تعريفات للإنسانية (humanie) منها أنها تعني مجموعة الصفات العامة لكل البشر وتدل أيضا على مجموعة الصفات التي تتضمن الفروق الخاصة المميزة للنوع الانساني بالنسبة للأنواع الأخرى وتدل أيضا على الشفقة وإحساس الإنسان اللغوي تجاه الآخرين المشابهين له³

أما عن علاقة النزعة الإنسانية بالأدب فهي علاقة وطيدة ، فعلى الرغم من أن الإنسانية من النظريات الأدبية التي يصعب تحديدها بزمن معين كما أنها لا ترتبط بنظرية فلسفية أو عقائدية معينة إلا أنه يمكن الإشارة إلي أن افلاطون كان أول من لمس السمات المشتركة لمفهوم الإنسانية في الأدب من منطلق أن الانسان هو الإنسان في كل زمان ومكان ويجب ان لا يخاف من الوقوع في الخطأ لأنه أولا واهيرا إنسان وطبيعته غير كاملة وإن كان دائم السعي لتحقيق الكمال ويكفيه شرف المحاولة⁴

ولأن الأدب يستمد مادته الأساسية من الحياة الإنسانية فهذا لا يعني أنه سيظل تابعا لها بل سرعان ما يأخذ بيده زمام المبادرة ويسبقها ضاربا لها المثل الأعلى الذي يجب عليها أن تحذو حذوه ، فهو يحتوي على الصراع الدرامي الحي والحبكة المنطقية المتسقة ، والشخصية الناضجة المتبلورة والفكر الإنساني الرحب وهذه عناصر كلها تتناغم⁵ .و الأدب إنساني باعتباره يصدر من الانسان على الأقل فهو انساني المنشأ وهو — فضلا عن ذلك — ملتصق بالإنسان وهمومه وتطلعاته ومصيره واذا لم يكن الأدب انسانيا فمن العسير أن نتصور ما هو⁶.

2-1-2 مبادئ النزعة الإنسانية في الأدب :

وفيما يلي تلخيص لأهم المبادئ التي تنطبق منها النزعة الإنسانية في الأدب وكذا التوجهات النقدية التي تتأسس عليها تلك النزعة :

- 1- الأدب العظيم يحتفظ بقيمته عبر الزمان والمكان .
- 2- النص الأدبي يحمل معناه في داخله.
- 3- الطريقة المثلى للتعامل مع النص الأدبي هي قراءته وتحليله دون أفكار مسبقة.
- 4- يشتمل النص الأدبي على حقائق إنسانية خالدة لأن جوهر الإنسان واحد لا يتغير .

- 5- يستطيع النص الأدبي أن يخاطب الحقائق الجوهرية التي تعرفها الروح والنفس وأن يتوجه إلى جوهر الإنسان بغض النظر عن مظهره أو طبقته الاجتماعية.
- 6- غاية الادب هي تنمية الحياة البشرية ونشر القيم الانسانية النبيلة دون أن يقع في أشراك الدعاية والخطابة
- 7- لا ينفصل الشكل عن المضمون في النص الأدبي الجيد.
- 8- يتسم النص الأدبي الجيد بالصدق الأدبي والأمانة الوجدانية.
- 9- هدف النقد هو التفسير والتأويل لا مجرد القراءة.⁷

2-2- الرمز الشعري مفهومه وأهميته في الشعر:

يرى أدونيس أن الرمز من أخص خصوصيات الشعر الحقيقي حيث يقول: «إن الشعر الوظيفي هو الذي ينظر إلى الحدث بوصفه موضوعا خارجيا فينقله تمجيذا أو تقبيحا، وهو يقوم بوظيفة يمكن أن يؤديها الكلام الإعلامي بحصر المعنى، أو أي نوع من الكلام الإخباري التحليلي، أما الخصوصية الشعرية فمن طبيعتها أن تحيل الحدث الى رمز، بحيث لا تردنا إلى الحدث كما هو وإنما تردنا إلى دلالاته وأبعاده التاريخية ناقلة حواسنا ووعينا في أفق جمالي تخيلي قوامه اللغة وعلاقاتها⁸ فما هو مفهوم الرمز وأي إضافات يضيفها على القصيدة ؟

2-2-1- مفهوم الرمز الشعري:

أ / — لغة : ورد في لسان العرب رمز : الرمز : تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة الشفتين وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشففتين والغمز⁹.

و يعود أصل كلمة الرمز ومعناه إلى عصور قديمة جدا عند اليونان حيث تدل على قطعة فخار أو خرف تقدم إلى الزائر الغريب، علامة على حسن الضيافة وكلمة الرمز symbole مشتقة من فعل يوناني يحمل معنى الرمز المشترك jeterensemble أي اشتراك شئيين وتوحيدهما¹⁰

ب — اصطلاحا: جاء في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة إقرار من صاحبه بصعوبة تحديد معين وثابت لمصطلح الرمز حيث يقول : الرمز مصطلح متعدد السمات غير مستقر حيث يستحيل رسم كل مفارق معناه ثم يضيف : علامة تحيل على موضوع وتسجله طبقا لقانون ما¹¹ كما عرفه علي عزت في معجمه: الرمز كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق

المطابقة التامة إنما بالإيماء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل محل المجرد¹²

2-2- دور وأهمية الرمز في القصيدة المعاصرة:

إنه من الثابت أن الشاعر المعاصر عندما يجنح إلى توظيف الرمز فإن ذلك التوظيف لا يكون اعتباطاً أو من قبيل الصدفة وإنما جنوحه هذا تحركه رغبات وعواطف وأهداف جمالية وفنية ونفسية وقومية وإنسانية وغيرها (وقد وجد رواد الشعر في الرمز وسيلة للتعبير عن قضايا سياسية واجتماعية ويدخل هذا النزوع إلى مفهوم جديد للشعر توصلوا إليه سواء كان ذلك بفعل ظروف الحياة الجديدة أم كان بتأثرهم بكتاب غريبين¹³) كما أننا نفهم من إيماء وإيحاء الرمز أضعاف ما يفهم من كلماته وفي الغلب تسعر الرمزية إلى خلق حالة نفسية خاصة، وإيحاء بتلك الحالة في غموض وإبهام الرمز يصعب أن نحلل عقلياً تفاصيل المعاني التي تعبر عنها القصيدة وبذلك تكون مهمة اللغة الأساسية عن الرمز هي الإيحاء ونقل واقع الأشياء الخارجية والداخلية من نفس إلى نفس¹⁴، فالرمز في التعبير عن الأفكار والعواطف ليس بوصفها مباشرة ولا بتعريفها من خلال مقارنات أو تشبيهات مفتوحة أو واضحة بصورة محسوسة ولكن باقتراح ما هي هذه الأفكار والعواطف بإعادة خلقها في هن القارئ من خلال استخدام الرموز¹⁵ والحقيقة أن الرموز لا تكتسب قيمتها ولا تؤدي وظيفتها إلا ببراعة الشاعر حينما يدخلها ضمن نسيج القصيدة مسقطاً إياها على الواقع ومستشرفاً بها المستقبل .

3- أمل دنقل والمضامين الانسانية في رموزه الشعرية

3-1- أمل دنقل ومراحل التجربة الشعرية

3-1-1- تعريف أمل دنقل: ولد أمل دنقل عام 1940 في بلدة القلعة في محافظة (قنا) في صعيد مصر، لأب كان الوحيد الذي حصل في نفس العام، على إجازة العالمية من الأزهر . توفي والده عام 1950 وعمر الشاعر عشر سنوات فتحمل شظف العيش لأن أسرته خسرت ممتلكاتها من جراء طمع الأقارب من الورثة ، ثم انتقل الشاعر إلى القاهرة للدراسة في كلية الآداب حيث تلقى تعليمه لعام دراسي واحد ، ثم انقطع عن الدراسة ليعمل كاتباً في محكمة قنا ثم عمل في مصلحة الجمارك لعدة أعوام بعده التحق بوظيفة في منظمة التضامن الآسيوي — الإفريقي¹⁶

في 12 أيار مايو عام 1983 توقف قلب الشاعر المبدع أمل دنقل عن الحركة بعد صراع مرير مع غول السرطان المخيف وبرحيله خسر الشعر العربي المعاصر شاعرا كان له حضوره المتميز في حياة الثقافة العربية، ولا سيما وأن شعره كان تاريخا حيا لقضايا الأمة العربية لذلك عاش شامخ الهامة نبيل الشعور عظمي الوجدان والمشاعر الانسانية العليا وما زالت صورته المشرقة هذه ماثلة في الضمائر والقلوب والأفئدة وبين متذوقي شعره.¹⁷

3-1-2- الاتجاهات الكبرى في شعره: يقسمها الدكتور ميشيل خليل جحا إلى أربعة اتجاهات متداخلة :

1- الاتجاه الرومانسي: وهو ذل الاتجاه الذي غلب عليه الطابع الشخصي في شعره، ويتناول فيه عهد الصبا وطهارة الحب البريء الخائب، ليل وحلم وحب وحزن وعذاب، ذكريات وأشواق ودموع وانتظار وفقده لمن يحب وتتمثل هذه المرحلة في ديوانه الأول مقتل القمر.

2 - الاتجاه الثاني: ويشمل مرحلة الصراع بين الذاتي والعام ويتمثل في ديوانه البكاء بين يدي زرقاء اليمامة .

3 - الاتجاه الثالث: يتمثل في ديوانه (تعليق على ما حدث) وديوان أقوال جديدة على حرب البسوس الذي يضم قصيدته الشهيرة (لا تصالح) التي نظمها عام 1976 وفيها دعوة إلى رفض الصلح مع إسرائيل .

4- الاتجاه الرابع: يتناول ذوبان الذات في الموضوع أو اندماج الخاص والعام بحيث أن شعره يتخطى الدائرة الذاتية وهموم الذات ليخرج الى دائرة الإنسانية الشاملة.¹⁸

والحقيقة أن هذا التقسيم يبقى تقسيما عاما وفي الواقع أن هذه الاتجاهات حاضرة في مراحلها المختلفة لكن كثافة تواجدها تختلف من مرحلة الى أخرى حسب الحالات التي تكون فيها الذات الشاعرة أو عليها ، و حسب الأحداث والقضايا التي تحيط بها.

3-2- المضامين الإنسانية في رموزه الشعرية:

لقد فطر الانسان على التأثر بملابس العصر وبخاصة الشاعر الذي يخالف البشر العاديين في شدة انفعاله

و مصاحبة الحوادث ، لأن رهافة الحس قد فرضت عليه التماهي مع التأزمات وفقا لما تقتضيه خبرته الشعرية الغنية بالدلالات وهذا ما نجده عند أمل دنقل رغم أنه اشتهر بنزعته الثورية

الرافضة إلا أن القلة من تنبهوا الى البعد الإنساني الشمولي الكامن في قصائده، ويمكننا تلخيص حضور ملامح النزعة الإنسانية في مضامينه الشعرية فيما يلي :

* استغلال الشخصيات التاريخية والدينية و الأدبية التي اتخذت موافقا كان لها أثر واضح في تاريخ الإنسانية .

* التأكيد على ضرورة ارتباط النسان بتاريخه وبجذوره ليتمكن من مواجهة وابعه وبناء مستقبله .

* السعي الى ترسيخ القيم التي تصب في خدمة الإنسان مثل نبذ الظلم والدعوى إلى العدل والمساواة .

* تسليط الضوء على القضايا الإنسانية المشتركة كرفض العبودية والتمرد ضد الظلم وانتهاكات حقوق الإنسان.3

3-2-1- نماذج تحليلية:

* نبذ الخنوع والدعوى للتمسك بالكرامة والعرض: هذه فكرة يلح عليها دنقل عند استحضار رموزه الشعرية ونأخذ على سبيل المثال رمز: كافور الاخشيدي والمتنبّي وسيف الدولة حيث يقول في قصيدة موت المتنبّي:

ساءلني كافور عن حزني
فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة كالقطة

تصبح (كافوراه .. كافوراه)..
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
تجلد كي تصبح (وا روماه ... وا روماه)..
لكي يكون العين بالعين

و السن بالسن¹⁹

نلاحظ قمة انكسار الذات الإنسانية ، هذا الانكسار الذي يمقته أمل في هذه الأبيات من خلال استحضار دلالة هذه الشخصية ، فليس الانكسار وحده الظاهر في هذه الأبيات ، بل هناك النصر الزائف الوهمي الذي تغرق فيه الشعوب من خلال الشعارات

الكاذبة والزعماء المزيفون والبطولات التي لم تتحقق على أرض الواقع وهذا ما نلمسه في تيمة الأبيات :

في الليل ، في حضرة كافور أصابني السأم
في جلستي نمت ..ولم أنم
حلمت لحظة بكى

و جندك الشجعان يهتفون :سيف الدولة
و أنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة
ممتطيا جوادك الأشهب شاهرا حسامك الطويل المنهكا
تصرخ في وجه جنود الروم
بصيحة الحرب ، فتسقط العيون في الحلقوم
تخوض ، لا تترك لهم الا النجاة مسلكا
تهوي فلا غير الدماء والبكا
ثم تعود باسما ..ومنهكا
والصبية الصغار يهتفون في حلب
((يا منقذ العرب))
((يا منقذ العرب))²⁰

نلاحظ السخرية اللاذعة في مضمون الأبيات ، مستغلا المفارقة بين معاني العزة العزة والكرامة والبسالة المتضمنة في شخصية سيف الدولة وبين نظيرها من معاني الانهزام والضعف ، ويعمق تصويره لهأساة الذل والهوان والخنوع في ما يليها من أبيات :

..تسألني جاريتي أن أكتري للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر بلا رادع
فقلت هذا سيفي القاطع ضعيه خلف الباب متراسا
ما حاجتي للسيف مشهورا
مادمت قد جاورت كافورا²¹

ويمضي دنقل في إيقاظ المشاعر الخاملة التي لا تعرف قيمة إنسانيتها فتتخبط إثر ذلك في انهزاماتها أمام ذاتها وأمام غيرها وهذا يتجلى في قصيدة : ((خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين)) حيث استغل الشاعر رمز صلاح الدين بطريقة

عكسية، فإذا كان صلاح الدين هو رمز التحرر والحرية واستعادة الحق الضائع، فإن صلاح الدين المعاصر ليس من أمره شيء إلا الكلام حيث يتلقى الهزيمة تلوى الأخرى فهاهو الشاعر يخاطب صلاح الدين المعاصر قائلاً:

ونحن – جيلاً بعد جيل – في ميادين المراهنة

نموت تحت الأحصنة

و أنت في المذيع، في جرائد التهوين

تستوقف الفارين

تخطب فيهم صائحا (حطين)..

وترتدي العقال تارة

وترتدي ملابس الفدائيين

وتشرب الشاي مع الجنود

في المعسكرات الخشنة

حتى تسترد المهدن المرتبنة وتطلق النار على جوادك المسكين

يلمس القارئ لهاته الأسطر المفارقة الصارخة بين حالة العرب بقيادة صلاح الدين وبين ما هي عليه في أيدي قادتها في زمن الشاعر، حيث لا يستطيع القائد حت تصنيف نفسه في أي خندق هو.

* نبذ التعقيم والانتصار الى القضايا العادلة:

إن المتتبع لشعر أمل دنقل يلحظ ميله الشديد الى نبذ تزييف حقائق الأمور والاختباء خلف ذرائع وهمية لانتهاك حقوق الانسان، لذلك نجده ينتقي رموزه انقاء يتناسب مع هذه الرؤيا ولعل من أبرزها رمز أبي نواس الذي اختاره عنوانا لإحدى قصائده المسماة من أوراق أبي نواس، وهي قصيدة استغل فيها دنقل ما تملكه هذه الشخصية من طاقات إيحائية حول التصريح بالمشاعر وتسمية الأمور بمسمياتها والقصيدة تتكون من خمس ورقات يفتتح الشاعر كل ورقة بجملة استفهامية: ملك أم كتابة؟ في تلميح منه إلى العبثية والعشوائية السائدة دون قانون جامع محدد واضح يحكم الجميع.

يقول في الورقة السادسة مستوحيا قصة مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما:

لا تسألني إن كان القرآن

مخلوقا أو أزلي

بل سلني إن كان السلطان
لصا .. أو نصف نبي
كنت في كربلاء
قال لي الشيخ أن الحسين
مات من أجل جرعة ماء

.....

و تساءلت كيف السيوف استباححت بني الأكرمين
فأجاب الذي بصرتة السماء
إنه الذهب المتلألئ في كل عين²²

* عدم التخلي عن الحق المسلوب مهما كانت الإغراءات :

إن تمسك الانسان بحقوقه والإصرار على استرجاعها من أبرز القضايا الإنسانية التي شغلت الشاعر العربي المعاصر ، لاسيما هؤلاء الذين عاشوا مأساة النكبة الفلسطينية وتأثروا بها عميق الأثر وانتقدوا كل مظاهر التفریط في الحق لاسيما الحق في الأرض والعرض والوطن ، ومن أبرز الرموز التي استغللها دنقل لهذه الدلالة هو رمز كليب وقصة مقتله في قصيدة لا تصالح والتي اتكأ فيها على الموروث التاريخي من خلال القصة أو الحادثة الشهيرة المعروفة بحرب البسوس ، وأهم دلالة ركز عليها لشاعر هي رفض الزير سالم الدية مقابل دم أخيه ورفضه الصلح مع قتلة أخيه مهما بالغوا في الاعتذار أو التزلف إلى أهل القتل وطبعا امل دنقل يسقط تلك الأحداث على واقعه لذي كان يعايشه وكل ذلك في قالب رمزي. حيث يقول :

لا تصالح ولو توجوك بتاج الإمارة كيف تخطو على جثة ابن أبيك ؟

وكيف تصير المليك
على أوجه البهجة المستعارة
كيف تنظر في يد من صافحوك
فلا تبصر الدم
في كل كف ؟
إن سهما أتانى من الخلف
سوف يجيئك من ألف خلف
إلى أن يقول :

لا تصالح

ولو توجوك بتاج الامارة إن عرشك : سيف

وسيفك زيف

إذا لم تزن — بذؤابتك — لحظات الشرف

واستطبت الترف

هنا يشير دنقل بوضوح الى أن التنازل عن شيء يقود الى التنازل عن أشياء أخرى فهو يحذر من مغبة هذا التهاون في أخذ الثأر ممن اغتال أخاه ، وبالشق الثاني للمعنى الذي يدل على حقوق الشعب الفلسطيني المنتهكة على مرأى ومسمع من قادة العرب ، ويحث على الشموخ وعدم الرضوخ للضغوطات قائلا :

لا تصالح،

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ،

وللرجال التي ملأتها الشروخ،

هؤلاء الذين يحبون طعام الثريد،

و امتطاء العبيد،

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم،

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح فليس سوى أن تريد

أنت فارس هذا الزمان الوحيد

وسواك المسوخ

لا تصالح

لا تصالح²³

و الواقع أن هاته المعاني التي أتى بها دنقل تتعدى القضية الفلسطينية والقومية العربية ، لتصل الى الحدود الإنسانية الشاملة الصالحة لكل زمان وفرد وزمان ، حيث لا يجب التنازل عن المبادئ والحقوق المشروعة ولو صعب التحدي وتكاثر لأعداء ، وحتى لو لم يؤمن بقضيتك سواك.

* مناوأة الحرب والدمار ومخلفاتهما:

لا يوجد في الكون ما هو أكثر انتهاكا للإنسانية من مخلفات الحرب ، فخلافا للخسائر المادية فإنها تترك آثارا معنوية جسيمة يصعب محو أثرها ، والشاعر باعتباره أرق شعورا وأدق ملاحظة من غيره ، فإنه أكثر إحساسا بعمق هذا الأثر ، ولم يفت الشاعر أمل دنقل تسجيل بصمته حول هذا الموضوع وسخر طاقاته الإبداعية وأدواته الفنية لتصوير أبعاد هاته المأساة التي عصفت ولا زالت تعصف باستقرار الشعوب والدول ، وقد انتقى الشاعر رموزا شعرية من التراث العالمي والعربي التي تتناسب تماما مع هذا الموضوع في قصيدة أقل ما يقال فيها أنها أكثر من رائعة لما تحتويه من براعة وعمق في التصوير ألا وهي قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة وهي قصيدة تضم بين دفتيها رموزا تتداخل وتتقاطع وتتصافر لتنتج لنا الدلالة النهائية التي أرادها الشاعر ، والمتمثلة في التعبير عن معاناة وهموم الشاعر التي أخرجها من دائرة الخاص وقفز بها قفزة نوعية من الذاتي الى الموضوعي حيث أنه يعبر فيها عن عدة جانب كلها تمس الانسان والانسانية يمكن تلخيص أهم محاورها الرئيسية في التالي :

- تهميش الانسان المثقف وتجاهل رأيه والسخرية من قدرته على التنبؤ ورمز الى هذه الفئة بزرقاء اليمامة²⁴

- استعباد الشعوب وحرمانها من حقوقها في وقت الرخاء والدفع بها الى الخطر في وقت الشدة ورمز إلى ذلك بعنترة العبسي .

وسنقف على بعض مقاطع القصيدة لننتلص هاته المعاني ونتذوقها بطريقة دنقل الفنية .

يقول في المقطع الأول من القصيدة :

أيتها العرافة المقدسة

جئت إليك .. مثخنا بالدماء

أزحف في معاطف القتلى ، فوق الجثث المكدسة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء

أسأل يا زرقاء ..

عن فمك الياقوت عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكا بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاة على الصحراء

عن جاري الذي يهم بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة
 عن الفم المحشو بالرمال والدماء
 ويقول في مقطع آخر يتم فيه ما بدا أنه من تصوير لمخلفات الحرب :
 أسأل يا زرقاء
 عن صرخة المرأة بين السبي والفرار كيف حملت العار
 ثم يقول :
 لم يبق إلا الموت ..
 والحطام ..
 والدمار
 وصبية مشردون يعبرون آخر الأنهار ونسوة يسقن سلاسل الأسر
 وفي ثياب العار
 مطأطئات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة²⁵
 ويبين الشاعر أن السبب في هاته المأساة هو تجاهل رأي الطبقة المثقفة وهو ما
 نفهمه من الأبيات التالية :
 أيتها العرافة المقدسة ..
 ماذا تفيد الكلمات البائسة
 قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار ..
 فاتهموا عينيك يا زرقاء ، بالبور
 قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار
 فاستضحكوا من وهمك الثرثار
 وحين فوجئوا بحد السيف : قايضوا بنا
 والتمسوا النجاة والفرار
 ونحن جرحى القلب
 جرحى الفم
 ثم يصور لنا الحالة النفسية والاجتماعية لعنترة العبسي التي ترمز إلى الشعب الذي يعاني
 ويلات الاضطهاد
 و التهميش ثم يلقي به في وجه المهالك :

قيل لي اخرس ..
 فخرست وعميت وأتيمت بالخصيان
 ظللت في عبيد عبس أحرس القطعان
 أجتز صوفها
 أرد نوقها
 أنام في حظائر النسيان
 طعامي الكسرة والماء .. وبعض التمرات اليابسة
 وها أنا في ساعة الطعان
 ساعة أن تخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان
 دعيت للميدان
 أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..
 أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان
 أدعى الى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة²⁶

نلاحظ كيف أن دنقل استطاع أن يسخر رمز زرقاء اليمامة وما حدث لها مع قومها لخدمة القصيدة التي يصور فيها بعض مأساة عام 1976 وقد تمكن من المزج بطريقة فنية رائعة بين الشخصيتين التراثيتين - أي الزرقاء وعنترة - والتقنيات الأخرى ليصور عن طريق هذا المزج أبعاد هذه المأساة كما عاشها في إطار وحدة فنية رائعة ، تنصهر في بوتقتها كل هذه التقنيات لتصبح كيانا فنيا بالغ التماسك²⁷ واللافت للانتباه هو التباعد الظاهري بين قصة الزقاء وقصة عنترة لكن الشاعر بعبقريته الشعرية استطاع أن ينتج ترابطا فنيا وكأن القصتين تتممان بعضهما البعض .

* الدعوى للتمرد ضد العبودية:

إن المتأمل لشعر دنقل يلاحظ ذلك الحس الثوري الرافض للعبودية بشتى أشكالها ، وكافة تمظهراتها ، ومن أبرز القصائد التي تتمحور حول هذا المبدأ : قصيدة (كلمات سبارتكوس الأخيرة) وهي قصيدة أسالت الكثير من الحبر حول استخدام دنقل لرمز الشيطان الذي وظفه للدلالة على الرفض ، وكان يقصد به العبد سبارتكوس إلا أنه تعرض للتكفير في وقتها ، يقول دنقل :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال لافي وجه في وجه من قالوا نعم
من علم الانسان تمزيق العدم
من قال لافلم يمت ،
وظل روحا أبدية الألم

المجد ليس إبليس الشيطان ولكنه للشيطان سبارتكوس ، ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت
نفسه للحري فقال لافي وجه القيصر وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه
الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم الى الصفوف الأولى من المواجهة
والقصيدة تمجد در هذا العبد الذي امتشق السيف في وجه روما العابثة بإنسانية الانسان²⁸
لكن دنقل في هذه القصيدة يراوغ من خلال استخدام أسلوب المفارقة فسبارتكوس الذي واجه
؟ أقوى إمبراطورية في الأزمنة الغابرة، يفضل الموت والشنق ليأسه من الشعوب الراضخة،
وهنا تبرز القيمة الدلالية والإيحائية لتقنية المفارقة حيث أنها أسلوب تعبري يهدف الى إيصال
المعنى بطريقة إيحائية

و شفافة تجعل القارئ يرفض النص بمعناه المباشر ويستنبط المعنى المراد على الرغم من
التنافر والتعارض الظاهري بين المعنيين، ومع ما تثيره من مشاعر السخرية عند منشئها
ومتلقيها على حد سواء.²⁹

وتبدو المفارقة بوضوح عندما يتوسل البطل الأسطوري بين يدي القيصر ممجدا إياه :

يا قيصر العظيم : قد أخطأت .. إنني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألثم يدك

ها أنا ذا أقبل الجبل الذي في عنقي يلتف

فهو يداك ، وهم مجدك الذي يجبرنا أن نعبدك

دعني أكفر عن خطيئتي أمنحك — بعد ميتتي ؟ جمجمتي

تصوغ منها لك ، كأسا ، حقا لشربك القوي

و دنقل يصدم القارئ بهذه المعاني ، لكنها صدمة إيجابية تنبهه الى غفلته وتوقفه من سباته

لا سيما عندما يواصل دنقل تهكمه وسخريته التي تنبع من مرارة وألم حادين :

إن يسألوك عن دمي الشهيد

و هل ترى منحنتي الوجودكي تسلبني الوجود

فقل لهم غير حاقده علي

وهذه الكاس التي كانت عظامها جمجمته

و ثقة الغفران لي .

يا قاتلي : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت منك

لكنني .. أوصيك إن تشأ شق الجميع أن ترحم الشجر³⁰

وبعد أن يتم خطابه مع القيصر يوجه خطابه إلى الشعب الذليل متهمًا من جديد :

الله لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا

والودعاء الطيبون ..

هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى

لأنهم .. لا يشفقون

فعلموه الانحاء

وليس ثم من مفر

لا تحلموا بعام سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد

ودنقل اختار هذه الشخصية لرمزيتها على التمرد والثورة ضد الطغيان والقهر والذل

وهنا تبرز أهمية الشخصيات التراثية فقد كانت (هي الأصوات التي استطاع من خلالها

الشاعر المعاصر أن يعبر عن كل أتراحه

و أفراحه أن يبكي هزيمته .. وأن يستشرف النصر .. وأن يتغني بالحرية وأن يتمرد على

القهر

و يقول لا في وقت كان فيه من يقول (لا) لا يرتوي إلا من الدموع³¹.

ومن الشخصيات الرامزة إلى التمرد والمثيرة للجدل في شعر دنقل هي شخصية ابن نوح

عليه السلام والمسمى (يام أو كنعان) والمعروف بتمرده على أمر أبيه النبي فهلك مع

من هك .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا

مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) ﴾ [هود 44]

والدلالة الأصلية لهذه الشخصية هي العقوق والعصيان لكن الشاعر لم يبق رهين هذا المعنى، وهنا تبرز قدرته على إعادة صياغة الوقائع وإعادة بعث الشخصيات بدلالات ثرية، والقصيدة التي تضمنت هذا الرمز الديني بدلالة مختلفة هي قصيدة : (مقابلة خاصة مع ابن نوح) حيث جعل من عصيان هذه الشخصية سببا في النجاة فجعل من ابن نوح البطل الذي رفض الهروب الدليل وتمسك بالبقاء ولو كان فيه هلاكه، مادام محافظا على كرامته، حيث يقول :

جاء طوفان نوح
هاهم الجبناء يفرون نحو السفينة
بينما كنت..
كان شباب المدينة
يلجئون جواد المياه الجموح
ينقلون المياه على الكتفين
و يستبقون الزمن يبتنون سدود الحجارة
علمهم ينقذون الوطن
.. صاحب بي سيد الفلك — قبل حلول
السكينة :

انج من بلد.. لم تعد فيه روح
هنا نرى دلالة الرفض رفض الهرب والنجاة المصاحبة للذل وتمجيد التمسك بالوطن والكرامة مهما كان الثمن هنا نرى كيف أن أمل دنقل استطاع بعبقرية فنية أن يقلب الموقف تماما دون أن يخل بالأسس العقائدية حيث وجد في هذه القصة معادلا موضوعيا لمن هربوا وتركوا الوطن يعاني بعدما أكلوا من خيراته واستنزفوا ثرواته، وتخلوا عنه في لحظات ضعفه وأوج احتياجه لهم. وعبر دنقل عن هذا بقوله :

طوبى لمن طعموا خبزہ..

في الزمان الحسن
وأداروا له الظهر
يوم المحن³²

لقد أسقط دنقل ما حدث زمن الطوفان على زمنه لكنه بمتغيرات، فقد قلب الشاعر موازين الأشياء وبذل الحقائق عن قصد وليس اعتباطاً، وإنما لقيمة فنية مضمارها منطقة الشعور لدى المتقي .

وقد كانت هذه أبرز الرموز التي تضمنت أبعاداً إنسانية في شعر أمل دنقل وغيرها كثير إلا أن هذه تبقى الأبرز والأشهر والأعمق تأثيراً حسب رأينا .

4- خاتمة:

- وفي ختام هذا البحث نحاول تلخيص أهم ما جاء فيه في نقاط مختصرة :
- لا يكاد يخلو أدب أمة ما من ملامح إنسانية رغم تفاوت بعضها البعض في حضور هذه النزعة كثرة وعمقا .
 - لم ترد لفظ الإنسانية في المعاجم العربية القديمة بل كان مناط الحديث عن النسان أو الانسي .
 - لم تظهر الإنسانية كمصلح الا أوائل القرن التاسع عشر على يد أحد علماء التربية الألمان .
 - الأدب إنساني بطبعه وذلك لارتباطه بالإنسان من حيث أنه صادر وموجه له .
 - غاية الأدب هي تنمية القيم الإنسانية النبيلة دون الوقوع في أشرار الدعاية والخطابة .
 - لم يحظ دنقل بحياة طويلة نظرا لإصابته المبكرة بمرض السرطان، لكنه أحس بالإنسان وحمل وعبر
 - عن همومه لهذا كتب لشعره البقاء والاستمرارية .
 - شكل الرمز الشعري والرمز التراثي بصفة خاصة حضوراً لافتاً في التجربة الشعرية عند أمل دنقل .
 - استدعى دنقل شخصيات تاريخية لها تأثيرها البارز وبصمتها الجلية في تاريخ الإنسانية .
 - استطاع أمل أن يخلق السياق الذي يوظف فيه رموزه الشعرية دون أن تكون عبئاً على القصيدة أو تخل
 - بنسيجها العام .
 - من أبرز الشخصيات الرامزة الى أبعاد إنسانية هامة حسب الرؤيا التي أرادها دنقل هي :
 - كافور الاخشيدي، سيف الدولة، سباركتوس، أبو نواس، صلاح الدين الأيوبي، زرقاء اليمامة، عنتره

- العبيسي، الحسين بن علي، ابن سيدينا نوح عليه السلام .
 - تمثلت أبرز المضامين الانسانية في محور كبرى تتفرع عنها عدة قضايا جزئية ونذكر منها:
 - نبذ الخنوع والدعوى للحفاظ على كرامة الانسان .
 - رفض التعقيم على الحقائق الجوهرية والحث على الانتصار للقضايا العادلة.
 - مناوأة الحرب والدمار ومخلفاتها.
 - الدعوى للتمرد ضد الطغيان والعبودية.
 الهوامش:

- ¹ - جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين بيروت، ط 7، 1992، ص 138.
² - j.c margolimanisme. En Europe.au de la . r e n a l ssans. Paris.p.u.f.1981.p.8-9
³ أنديه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت ط 2 2001 مج 2 ص 570
⁴ راغب نبي، موسوعة النظريات الادبية القاهرة ط 1 مكتبة لبنان ص 51
⁵ - المرجع السابق 57
⁶ - جبرا ابراهيم جبرا، الحرية والطفوان المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط 2 1979 ص 43
⁷ - بهاء الدين محمد منير، النزعة الانسانية في الرواية العربية وبنات جنسها دار العلم والايمان للنشر والتوزيع 2007 ص 53.
⁸ سياسة الشعر ص 177
⁹ - ابن منظور لسان العرب، مادة رم ز ط 5 دار صادر بيروت ص 356
¹⁰ - ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب وانعكاسات الرمزية ص 508
¹¹ - سعيد علوش معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني ط 1 1885 بيروت ص 101
¹² معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، المكتبة الاكاديمية القاهرة 1944 ص 144
¹³ عبد الرضا علي الأسطورة في شعر السياب، دار الرائد العربي بيروت ط 2 1984 ص 21
¹⁴ واصف أبو الشباب القديم والجديد في الشعر العربي الحديث دار النهضة العربية بيروت ط 1988 ص 244
¹⁵ رجاء عبد، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر ط، دت، ص 192
¹⁶ هاني الخير موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث ص 7
¹⁷ السابق الصفحة نفسها
¹⁸ السابق ص 17-18
¹⁹ موسوعة الشعر العربي ص 103
²⁰ المرجع السابق ص 105
²¹ موسوعة أعلام الشعر العربي ص 105
²² المرجع السابق ص 140

²³ المرجع السابق ص 152

²⁴ حذرت زرقاء اليهامة قومها عندما أراد حان بن تبع ملك حمير هاجمة قومها فرأت جيشه على مسيرة ثلاثة أيام فأندرت قومها فلم يصدقوها لأن التبع كان يعلم بمقدرتها على النظر البعيد فأمر جنوده بحمل الأشجار والزحف بها ولما أخبرت قومها بما رأت لم يصدقوها ولم يتفطنوا لحيلة العدو حتى وصل إليهم وأبادهم وأتى الزقاء ففقاً عينها (ينظر : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك د ط د ت ج 2 ص 08 و ص 39)

²⁵ المرجع السابق ص 77

²⁶ المرجع السابق ص 78

²⁷ علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة مكتبة ابن سينا القاهرة ط 4 ص 226

²⁸ هاني الخير، مرجع سبق ذكره.

²⁹ هيثم محمد جيدتاوي، المفارقة عند أب العلاء المعري دروب ثقافية للنشر والتوزيع ط 2012 ص 27

³⁰ هاني الخير مرجع سبق ذكره ص 71

³¹ علي عشري زايد الشخصيات التراثية ص 7

³² موسوعة أعلام الشعر العربي ص 182